بحث محكم | قسم الدين وقضايا المجتمع الراهنة | 30 يناير 2023

زمن الكورونا (تونس أنموذجا) المثقّف والتّوجيه الصحّي

مروى بن عبد الجليل
باحثة تونسية

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2023
All rights reserved © 2023

الإطار العام:

لم تعد ثنائيّة الصحّة والمرض مبحثا متعلّقا بالمجال الطبّي فقط، بل أضحى مبحثا يُنظر إليه من زوايا متعدّدة؛ فقد يهتمّ المؤرّخ بدراسة الأمراض بهدف تأريخها، فيصنّف كل فترة بالأمراض والأوبئة الّتي انتشرت خلالها، فلا يتوسّع في تعريف المرض أو الآثار الكارثيّة المنجرّة عن ظهور بعض الأوبئة. فيكتفي المؤرّخ بذكر تاريخ ظهور الوباء بغية تحديد فترة ظهوره بدقّة، ونذكر على سبيل المثال ما كتبه ابن عذاري في مصنّفه البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب عن الطّاعون: «ودخل جمادى الأولى، وعدمت الأقوات بالجُملة، وهلك النّاس. ولم يبق من ذلك الجمّ إلاّ نزر يسير. وتوالى اليبس، واستحكم الوباء، وبينما الرّجل يمشي، سقط ميتا.»[1] ويستغلّ الطّبيب فترة ظهور الأمراض والأوبئة لتكثيف أبحاثه العلميّة وتطوير وسائل العلاج والوقاية، والأمثلة عديدة ومختلفة ولا يسعنا المجال إلى ذكرها كلّها. ولكن، ما أردنا بلوغه هو توضيح ما لهذه الظّاهرة من أثر في المجتمع وأفراده، فمع تعدّد الدّراسات والمقاربات السوسيولوجيّة والأنثربولوجيّة لموضوع الصحّة والمرض، انتقل تشخيص المرض والوباء من مقاربة بيولوجيّة إلى مقاربة اجتماعيّة. ويعود الفضل إلى بروز دراسات تنظر إلى المرض كظاهرة اجتماعيّة إلى دوراي، من خلال تصوّره للمرض، إذ اعتبر: «أنّ الألم لا يقاس بشكل طبيعيّ، فكلّ ألم لم يعترف به اجتماعيّا فهو ليس مرضا».[2] فالجماعة هي الّتي تعبّر عن آلامها ومنه تبتكر طقوسا للمرض وتسمي الألم مرضا، فنحن نروم دراسة تمثّلات المجتمع للأمراض والأوبئة، وتحليل سلوك الأفراد والجماعات من خلال تقبلهم هذه الأزمة أو رفضها. وانطلاقا من هذه التمثلات، نتمكن من استقراء المرجعيات الثقافية التي بنيت من خلالها تمثّلات المجتمع لهذه الظّاهرة، وكيفيّة تفسيره لها. ومنه نتمكّن من دراسة وسائل العلاج والوقاية المتّبعة ضمن المجتمع المدروس.

يعدّ هذا المبحث حديثا، فالاهتمام بالمرض كظاهرة اجتماعيّة لم يكن مبحثا دراسيّا؛ فالمرض آفة تهدّد حياة الإنسان، ويهتمّ المعالج بتفسير أسباب ظهورها وتفشّيها، وينتهي بوضع حدّ لها باكتشاف وسائل العلاج والوقاية.

ولكن مع تقدّم الأبحاث والدّراسات والمقاربات السوسيولوجيّة والأنثربولوجيّة، تمّ تجاوز الفصل بين الأبحاث والمقاربات العلميّة والاجتماعيّة، فتبيّن أنّه يمكننا الوصل بين دراسة المرض أو الوباء كظاهرة بيولوجيّة يهتمّ الطبيب بتشخيصها ومعالجتها، والمرض أو الوباء كظاهرة ثقافيّة، يهتمّ الباحث بتشخيص كيفيّة تقبّل المجتمع لهذه الظّاهرة وكيفيّة تفسيرها؛ وذلك من خلال تفكيك المرجعيّة الثّقافيّة للمجتمع المدروس.

---

1 ابن عذاري المرّاكشيّ، البيان المغرب، تحقيق: ليفي بروفنسالوج.س كولان، الط1، دار الثقافة، بيروت_لبنان، 1983، ج4، ص39

2 Durkheim, E (1924), Sociologie et philosophie. Alacan

وبناء على تفسير المجتمع لهذه الظّاهرة، يتمّ اتّخاذ إجراءات وقائيّة وعلاجيّة تتحكّم فيها المرجعيّات الثّقافيّة ذاتها. لذلك، أصبحت الثّقافة هي المتحكّمة في تفسير المرض وتحديد وسائل العلاج والوقاية. وبالتّالي، يمكننا الإقرار بأنّ الطبّ وحده لم يعد المجال الوحيد لتشخيص المرض وتفسيره وتحديد كيفيّة الشّفاء، فللثّقافة دور مهمّ في رسم ملامح أخرى للمرض.

ولعلّ تاريخ الطبّ يحوي شواهد على الاهتمام بالحياة الاجتماعيّة والثقافيّة ومدى تأثيرها على الصحّة، فخلال القرن التاسع عشر في أوروبا، اهتمّ «شادويك" (1842) في بريطانيا وكورتجان في ألمانيا (1848) و«سيرجيست" (1850) في سويسرا[3] باستقراء تأثير الصحّة والمرض في الحياة الاجتماعيّة.

فقد تبيّن أنّ التّأثير المرضيّ يبرز في شكل اضطرابات نفسيّة وسلوكيّة، وبالتّالي، أضحى المجال الأنثربولوجيّ وعلم الاجتماع ضروريين لاستقراء الحالة المرضيّة وعلاجها.

كما سبق أن أشرنا في بداية البحث، إنّ الاهتمام بتحليل تفسير المجتمع للأمراض والأوبئة ظهر حديثا، والدّراسات[4] المهتمّة بتحليل هذه الظّاهرة قليلة. ولكن في السّنوات الأخيرة، تحديدا بعد ظهور فيروس الكورونا، ظهرت دراسات مختلفة لتفسير هذه الظّاهرة ليس من خلال منظور بيولوجيّ طبيّ فحسب، بل من خلال منظور ثقافيّ واجتماعيّ أيضا. وسعى الباحثون من خلاله إبراز نظرة المجتمع لهذا الوباء الجارف واستقراء كيفيّة تقبّله. ولهذا السّبب، اخترنا دراسة كيفيّة مواجهة المجتمع التّونسيّ لفيروس كورونا، وهدفنا من هذه الدّراسة، أوّلا: استقراء تفسير المجتمع التّونسيّ لهذه الظّاهرة من خلال النّشأة والظّهور وسط المحضن التّونسيّ، وتحديد دور المثقّف في توضيح الرّؤية وتفسير ماهية المرض

ثانيا: استقراء كيفيّة تقبّل المجتمع التّونسيّ لوسائل العلاج والوقاية؛ وبما أنّ المرض حديث الظّهور، فإنّ وسائل العلاج والوقاية ستكون على غير ما ألفه المجتمع، فلن يكون من اليسير تقبّل هذه الأشكال العلاجيّة الحديثة، وهنا ننظر في دور المثقّف التّوجيهيّ لإنقاذ صحّة المجتمع أو بالأحرى إنقاذ حياة أفراد المجتمع.

ونظرا لتشعّب مفهوم المثقّف، وغياب تعريف جامع مانع لهذا المصطلح، تخيّرنا حصر هذا المفهوم ضمن أربع جوانب نظرا لتقاربها مع موضوع البحث:

الأوّل هو المثقّف الدّيني، ويتمثّل في رجال الدّين، وكان حضورهم فترة الأزمة بارزا، واستندوا إلى المرجعيّات الدينيّة لتفسير سبب ظهور الوباء وتحليل كيفيّة تفشّيه.

3 المكاوي، علي، الأنثربولوجيا الطبيّة وبحوث ميدانيّة، نسخة إلكترونيّة، https://drive.google.com

4 عبابو، محمد، سوسيولوجيا الصحّة، نسخة إلكترونيّة، http://www.fldm.usmba.ac.ma، 2015

الثّاني، علماء النّفس والاجتماع، ويعتبرون من فئة المثقّف الحامل لهمّ مجتمعه، وهذه الفئة سعت بفضل مرجعياتها الثّقافيّة والعلميّة إلى التّخفيف من شدّة وطء ما حلّ في نفوس أفراد المجتمع من الخوف. فالموت يجول في ثنايا العالم تحت اسم فيروس كورونا. وكان لهؤلاء دور كبير في توعية النّاس والتّخفيف من معاناتهم.

الثّالث، الصّحفيّ، إذ ساهمت هذه الفئة في عرض آراء جميع فئات المجتمع ذات الاختصاص والبعيدة كلّ البعد عن المجال الصحّي والثّقافيّ، ومن أهداف هذه الفئة خلال الأزمة الصحيّة هو رفع اللّبس والضّبابيّة عن الإشاعات المتفشّية ضمن مواقع التّواصل الاجتماعيّ، وفي المقابل، تنظيم مقابلات مع الفئة الاجتماعيّة المثقّفة المتمثّلة في علماء النّفس والاجتماع وأطبّاء.

الرّابع، وهم الفئة الأبرز والأهمّ خلال هذه الأزمة، وهم الطّاقم الطبيّ، وسعت هذه الفئة منذ نشأة الفيروس إلى حدود فترة بروز اللّقاح إلى تجنيد نفسها للبحث والتّنقيب العلميّ لإنقاذ البشريّة من الموت.

في المنهج:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الأنثربولوجيّ للصحّة والمرض والمنهج الأنثربولوجيّ الثّقافيّ. وتكمن أهميّة هذا المنهج في موضوعنا في:

إنّ أنثربولوجيا الصحّة والمرض تبحث في مفهوم التّربية الصحيّة التّي تحدّدها التمثّلات الاجتماعيّة المحدّدة لمفهوم الصحّة والمرض والموت. ويختلف تفسير هذه الظّواهر من مجتمع إلى آخر؛ وذلك باختلاف التصوّرات المحدّدة لملامح كلّ مجتمع. فكلّ مجتمع مرتبط بتاريخه الحضاريّ والثّقافيّ والاجتماعيّ والعقديّ والاقتصاديّ... ممّا يجعله حاملا لتصوّرات تختلف عن مجتمع آخر يختلف عنه بخصائصه المجتمعيّة. فمفهوم الصحّة مرتبط بتصوّرات المجتمع لمسائل الحياة والمرض والموت والصحّة بأبعادها النّفسيّة والاجتماعيّة والجسديّة. فأنثروبولوجيا الصحّة والمرض تعدّ دراسة لكلّ ما هو بيوثقافيّ؛ فهي تهتمّ بدراسة الجانب البيولوجيّ/ الثّقافيّ لسلوك الإنسان، وتهتمّ بتحليل تفاعل كلّ من الجانبين لدراسة مواجهة الإنسان مع الأمراض والأوبئة.

وكان من واجبنا ونحن نحلّل نظرة المجتمع التّونسيّ لوباء كورونا أن نخصّص جانبا مهمّا من دراستنا لاستقراء رؤية المثقّف للوباء وكيفيّة تفسيره له، وكيفيّة تبسيط وسائل العلاج والوقاية إلى عامّة المجتمع. هذا من جهة أولى.

ومن جهة ثانية، استأنسنا بالمنهج الأنثربولوجيّ الثّقافيّ لأهميّته في دراستنا، فمفهوم الصحّة والمرض يختلفان من ثقافة إلى أخرى، ومعيار تحديد مفهوم الصحّة يختلف من محضن إلى آخر ومن تاريخ إلى آخر، إذ تتعرّض هذه المفاهيم إلى تغيّرات طارئة استجابة إلى التحوّلات التّي تطرأ على أنماط الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة ووسائل الرّعاية الصحيّة ضمن كلّ بيئة.

كيف تقبّل المجتمع التّونسيّ هذا الوباء؟ ما هي مختلف تصوّرات النّاس لهذه الجائحة؟ ما هو المحضن الأصليّ للفيروس؟ فيم تمثّل دور المثقّف في تعديل بعض الرّؤى لهذا الوباء؟ ما هي وسائل العلاج والوقاية المعتمدة للحدّ من خطورة هذه الجائحة؟ وكيف تمّ إقناع النّاس بضرورة التّلقيح؟ وما مدى تفاعل النّاس مع ذلك؟

1- تونس تواجه فيروس الكورونا:

إنّ تفشّي فيروس كورونا في المجتمع التّونسيّ مؤخّرا كما هو الشّأن لدى باقي دول العالم، قادنا إلى التعمّق أنثربولوجيّا في مسألة علاقة المريض بالمرض وتمثّلات المجتمع التّونسيّ عن المريض والمرض، إذ تحوّل المرض من وباء بيولوجيّ يستحقّ المعالجة إلى ظاهرة اجتماعيّة عالميّة؛ وذلك بعد ظهور مفهومي التّعايش بين المريض والمرض. وتميّز هذا الوباء بسرعة انتشاره الفائقة لحظة نشأته بموطنه الأصليّ.

1_1- نشأة الفيروس:

اختلطت المعلومات والدّراسات المحدّدة لأصل نشأة الفيروس، وأكّدت منظّمة الصحّة العالميّة أنّ الدّراسات لا تزال إلى يومنا هذا مطروحة والفرضيّات المقدّمة على السّاحة الإلكترونيّة لمواقع الأخبار والتّواصل الاجتماعيّ، ما زالت في طور الدّراسة والبحث[5].

وفي بداية هذا البحث، سنضع تعريفا لهذا الفيروس الذّي غاب عن معرفته البعض:

مرض كوفيد 19 الذّي ظهر سنة 2019، هو مرض يسببه نوع جديد من فيروسات كورونا اكتشف لأوّل مرّة، عندما حدث تفشّ للمرض في ديسمبر 2019.

وفيروسات كورونا هي عائلة كبيرة من الفيروسات التّي يمكن أن تسبّب أمراضا تتراوح ما بين الأمراض الطّفيفة، مثل نزلات البرد الشّائعة، إلى أمراض أكثر شدّة، مثل المتلازمة التنفّسيّة الحادّة الشّديدة (السارس) ومتلازمة الشّرق الأوسط التنفسيّة. وبما أنّ فيروس كورونا المسبب لمرض سارس، أطلق عليه

5 https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019

اسم فيروس كورونا 2 المرتبط بالمتلازمة التنفسيّة الحادّة الشّديدة، ولم يتأكّد المتخصّصون بعد من مصدر فيروس كورونا 2 المرتبط بالمتلازمة التنفسيّة الحادّة الشّديدة بالضّبط المسبّبة للوباء، ولكن من المحتمل أنّه انتقل إلى البشر من الخفافيش.[6]

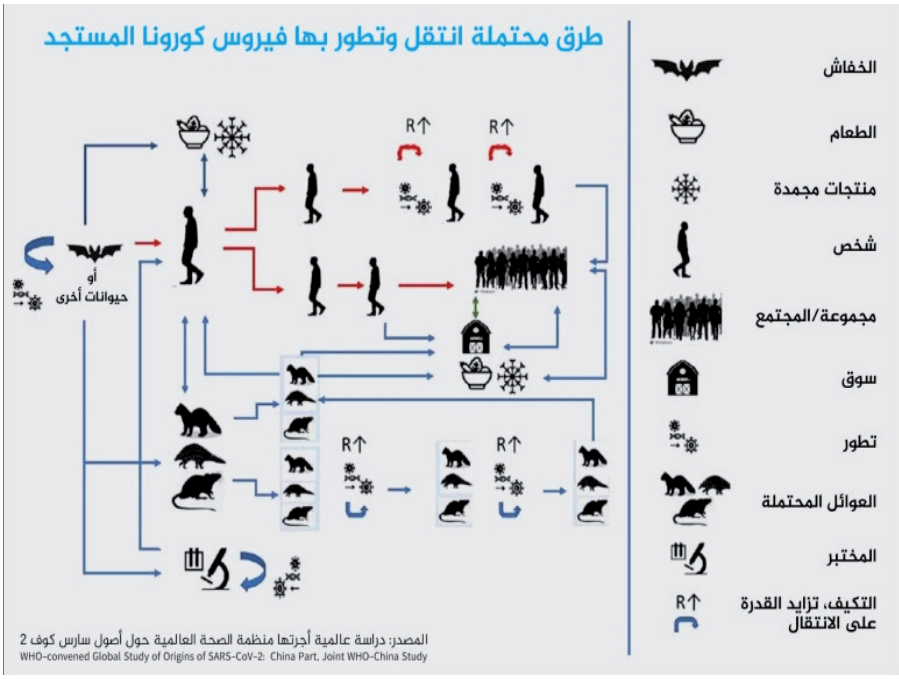

حاول الباحثون من خلال هذا الرّسم[7]، تبسيط كيفيّة انتقال الوباء من الحيوان إلى الإنسان، واعتبروا أنّ أصل نشأة المرض، انتقاله من حيوان مريض إلى الإنسان[8]. وقد يكون هذا الحيوان قد أصيب بالفيروس ثمّ نقله إلى البشر، ثمّ استمرّ انتقال الفيروس بين البشر بسرعة فائقة. وفي المقابل، برزت فرضيات أخرى تقرّ بأنّ الفيروس من صنع الإنسان وأنّه مجرّد حلقة من حلقات سابقة وتالية من الفيروسات المخلفة معمليّا لتحقيق أهداف معينة عن طريق بث الرعب في نفوس النّاس[9]. وتبنّى الكاتب البريطاني ديفيد آيك devideIcke[10]

6 فيروس كورونا https://www.cancer.net

7 https://www.aljazeera.net/

8 أبو الرُبّ، أسامة، فرضيات نشأة فيروس كورونا المستجدّ، https://www.aljazeera.net/، 23/10/2021

9 عثمان، صلاح، كورونا نظرية المؤامرة، نشر في مركز المجدد للبحوث والدراسات، إسطنبول، تركيا، 4 أبريل 2020

10 David Icke, un ancienfootballeurprofessionnel, affirmeenquêterdepuis 30 ans sur les personnesouentités qui «CONTRÔLENT RÉELLEMENT LE MONDE». Auteur d'unevingtaine de livres, il a donné des conférencesdans plus de 25 pays, et a été à l'origine de diversespolémiquesnotamment pour avoir niél'Holocauste et pour avoirrépandu des théoriescomplotistes qui luiontvaluenmai 2020 la fermeture de sa chaîne YouTube.

Icke y affirmequ'ilexiste un "culte", une «tyranniemondiale» qui serait à l'origined'uneépidémie de Covid-19 créée, selonlui de toutespièces, avec pour objectif «la destruction de l'économiemondiale pour que les gens deviennentdépendants de l'Etat». «Ilscontrôlent les chiffres avec la façondontilseffectuent les tests, les diagnostics et la manière de compter» les contaminations, assure encore Icke, enaffirmant que «les chiffresaugmentent et servent à justifier le confinement qui se termineraquandilsaurontobtenucequ'ilsveulent».

https://factuel.afp.com/

هذه النظريّة. أمّا رئيس الولايات المتّحدة الأمريكية «بايدن»، فاتّهم الصّين بابتكار الفيروس في مخابرها ونشره في أنحاء العالم، وادّعى أنّ وكالة الاستخبارات الأمريكيّة تحصّلت على أدلّة تثبت إدانة الجريمة التّي ارتكبتها الصّين[11]. ومن جهة أخرى، دأب تشاو ليجيان، المتحدّث باسم وزارة الخارجيّة الصينيّة، على التّرويج دون دليل، لفكرة أنّ كوفيد 19 ربما يكون قد ظهر أوّلا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وفي 12 مارس 2020 ذكر في تغريدة على التويتر: «إنّ الجيش الأمريكي قد جلب الفيروس إلى ووهان»، وبعد نشر المقال بيوم تمّ حذفه من منصّة التّواصل الاجتماعيّ، ورددت صحيفة غلوبال تايمز الصينيّة صدى مشاعر «تشاو»، ففي الوقت الذّي أكّدت فيه أنّ مزاعم الدّبلوماسي صادرة عنه بصفته الشخصيّة، قالت أنّ تصريحاته عكست شكوكا مماثلة أثارها الشّعب الصّينيّ[12]. ولكن تبقى هذه التّفسيرات المقدّمة من قبل الباحثين مجرّد نظريّات لا نستطيع الجزم بصحّتها أو نفيها، فالفيروس لا يزال بيننا، ولم يتمّ القضاء عليه نهائيّا حتّى بعد إصدار التّلاقيح، وسنتوسّع في توضيح إجراءات الوقاية والعلاج فيما تبقّى من البحث. وقصدنا التّنويه إلى أهميّة اتّخاذ مسافة بين الباحث أو المطّلع على أصول نشأة هذا الوباء، فالفيروس جديد والأبحاث متواصلة يوميّا، فمن البديهيّ وجود تعديلات في كلّ ما هو متعلّق بالفيروس، وهذه النظريّات المتعلّقة بأصل نشأة الفيروس غير صحيحة وهي مجرّد فرضيّات، فلا يجب أخذ كلّ المعلومات المنتشرة كمسلّمات دون التّمحيص والتّدقيق في ثنايا الحجج العلميّة المقدّمة، ومن الضّروريّ، الانتباه بشكل دوريّ لكلّ الأخبار المتعلّقة بالكوفيد، ولا يخفى علينا أنّ وسائل الإعلام ووسائل التّواصل الاجتماعيّ لم تدّخر جهدا في توفير كلّ ما هو متعلّق بمستجدّات هذا الوباء. فسرعة انتقال العدوى بين السكّان خلقت هلعا شديدا بين السكّان.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ المثقّف[13] سعى جاهدا إلى تعديل هذه الأساطير المترسّخة في ذهنيّة أفراد المجتمع، فالتجأ العديد إلى مواقع التّواصل الاجتماعيّ (التويتر، الفايس بوك، التيك توك...) لنشر توضيح أو بالأحرى لتفسير ماهيّة هذا الدّاء وكيفيّة نشأته بلغة بسيطة يستسيغها الإنسان البسيط ويستوعبها، فالمثقّف ما هو إلاّ مرآة النّاس، يحمل آلامهم وأحزانهم، والعامّة تثق في ذاك الإنسان؛ لأنّها ترى فيه أمل الإصلاح في

11 الجزيرة للأخبار https://www.youtube.com/

أولغا روبنسون وشايانسرداري زادة، فيروس كورونا نظريات المؤامرة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكيّة، 26 أبريل 2020، https://www.bbc.com/arabic

12 أولغا روبنسون، المرجع نفسه

13 ربط المثقف المصريّ محمود أمين بين المثقف والموقف المحدّد ما يحدّد وما يميّز بين المثقف واللامثقف هو الموقف وذلك في كتاب يحمل في عنوان طريف «الإنسان موقف».

وفيه يبيّن أنّ الإنسان هو أروع ثمار الحياة هو عقلها الواعي وقلبها المشتاق وحسّها الفنّان وإرادتها الفعّالة، والإنسان في جوهره موقف، إنّه ليس مجرّد إشباع لرغبة أو استجابة لمؤثر، وإنّما هو إضافة عبقريّة خلاقة ضمن المجتمع.

المثقف هو ذلك الذّي يحمل ذكاء الجماعة، وهو الذّي يحسن الإنصات إلى نبضاتها، ويحسن استكشاف مكنونات أفراد المجتمع الخلاقة، ويحسن الاستشراف على مقدّمات الأشياء، على خلاف الإنسان العاديّ، ويحسن التّعبير عن رغبتها ويتقن النّضال من أجل تحقيق رغبة الجماعة.

أمين، محمود، إشكالية العلاقة بين المثقفين والسلطة، الط1، حزب التجمع التقدمي الوحدوي، 1988، مصر

جميع المجالات، فالتّعليمات التّي يلقّنها المثقّف إلى النّاس تكون في معظم الأحيان هذا إن لم نقل دائما، موثّقة وذات مصداقيّة علميّة، لذلك فهو يساهم بشكل أو بآخر في تهدئة هلع النّاس وخوفهم من الوباء.

وبالتّالي، يمكننا القول إنّ توجيهات المثقّف لها دور مهمّ في تعديل تفسيرات المجتمع التّونسيّ؛ وذلك باستبدال المفاهيم الخياليّة والأسطوريّة بمفاهيم علميّة دقيقة. فتتقلّص مخاوف العامّة وتتحوّل الرّؤية الضبابيّة الملفوفة بالأساطير الخرافيّة إلى رؤية مشبعة بالمفاهيم العلميّة والطبيّة، وبما أنّ للمثقّف سلطة توجيهيّة، نظرا إلى احترام أفراد المجتمع للمثقّف ومكانته المعرفيّة، فلا شكّ أنّ المغالطات المنتشرة في ذهنيّة المجتمع سوف تتقلّص تدريجيّا، وبطبيعة الحال سينعكس ذلك على سلوكهم إثر اتّخاذ الإجراءات الوقائية والعلاجيّة التّي ستظهر بعد ذلك.

نضيف توضيحا دقيقا آخر لكيفيّة انتشار أو بالأحرى انتقال العدوى، فنذكر أن الفيروس يتمكّن من الانتقال من شخص إلى آخر عبر قطرات الرّذاذ الصّغيرة التّي تتناثر من الأنف أو الفم عند السّعال أو العطس. وعندما يستنشق شخص آخر هذا الرّذاذ أو يلمس سطحا استقرّ عليه هذا الرّذاذ، ثمّ يلمس عينيه أو فمه أو أنفه، فإنّه يصاب بمرض الكوفيد[14]، ولهذا السّبب تمّ إجراء الحجر الصحّي كخطوة أوّليّة للوقاية والحدّ من سعة انتشار هذا الفيروس، ولم يلق هذا الإجراء الوقائيّ ترحابا لدى المجتمعات، وهنا يجب أن يكون المثقّف حاضرا لبثّ التّوعية، ولكن قبل الحديث عن دور المثقّف في التّوجيه الصحّي، سنخصّص تحليلا مفصّلا لكيفيّة تقبّل المجتمع التّونسيّ لهذه الإجراءات.

1_2- تونس والكورونا:

واجهت تونس كبقيّة دول العالم فيروس الكورونا، وعانت صعوبات جمّة من أبعاد الجائحة الصحيّة والاقتصاديّة. ولقد برزت الموجة الأولى من الفيروس ما بين مارس وسبتمبر 2020، وأسفرت عن ظهور عدّة إصابات انتهت بوفاة العديد من المرضى، وهذا الجدول يوضّح عدد الإصابات بالفيروس:

14 https://www.cancer.net/sites/cancer.net

تتراوح أعراض كوفيد 19 ما بين بسيطة إلى شديدة، وقد تظهر خلال يومين بعد التعرّض للفيروس، وهذه الأعراض قد تشمل الحمى والسعال وضيق التنفّس والقشعريرة والصداع والتهاب الحلق وفقدان حاسة التذوق والشم، وهناك أعراض أخرى قد تشمل وجعا في الجسم وآلاما أو تعبا واحتقان الأنف أو رشحا فيه، أو الإسهال. وقد يسبب المرض لبعض المصابين التهابا رئويا شديدا ومشاكل في القلب، وقد يؤدّي إلى الوفاة. وفي المقابل، قد لا تظهر أيّ من هذه الأعراض على مصابين آخرين.

ومرض كوفيد-19 يمكن أن يصيب الأطفال والبالغين على حدٍ سواء، ولكن أغلب حالات المرض المسجلة هي إصابات وقد وردت تقارير مؤخراً بين البالغين. ويبدو أن الاعراض لدى الأطفال أخف من البالغين.

- المرجع نفسه

المؤشّر[15]	8 ديسمبر
حالات إصابة مؤكّدة بفيروس كورونا المستجدّ	105,445
حالات وفاة مرتبطة بفيروس كورونا المستجدّ	3,668
حالات تعافي من فيروس كورونا المستجدّ	80,082
فحوصات أجريت لرصد فيروس كورونا المستجدّ	490,874

لم يكن الأمر هيّنا، والجائحة تتكاثر بسرعة البرق، والفيروس كما سبق وذكرنا سريع الانتشار، ولم تجد المؤسّسات حلاّ سوى فرض الحجر الصحّي على غرار ما فعلته الدّول الأوروبيّة.

فمع بروز الموجة الأولى من الجائحة، تحديدا بين مارس وسبتمبر 2020، التجأت الحكومة التونسيّة إلى جملة من الإجراءات بما فيها إغلاق الحدود والمدارس وإغلاق البلاد وفرض حضر تجوّل ليليّ. وفعلا تمّ اتّخاذ جميع هذه الإجراءات وتطبيقها. ولكن، هذه التّعليمات لم تلق ترحابا من قبل جميع أفراد المجتمع التونسيّ، فانطلقت الاحتجاجات وطالب أصحاب المشاريع المتوسطة والصغرى الدّولة بمراجعة قراراتها بشأن الحجر الصحّي[16]؛ وذلك بسبب حدوث تراجع في المردود الاقتصاديّ جرّاء هذا الحجر الصحّي، غير مكترثين بالوضع الصحّي الكارثيّ الذّي تسير البلاد نحوه.

سياسة حجر المواطنين لقيت رفضا من قبل أفراد المجتمع التّونسيّ، فقد اعتبروا هذا الحجر مجرّد إجراءات شكليّة لن تحميهم من خطورة الإصابة بالفيروس مجدّدا، واعتبروا أنّ العودة إلى الحياة العادية ستساهم في إعادة ظهور الفيروس، وهنا وجب ظهور المثّقف لتوعية العامّة وإقناعهم بضرورة الالتزام بالإجراءات الوقائيّة للحدّ من خطورة هذا الفيروس. ويجب أن نشير إلى أنّ العديد من أفراد المجتمع التّونسيّ لم يقتنع بمدى خطورة هذا الوباء، واعتبروه مجرّد نزلة برد عادية، لكنّ هذه الجائحة تسبّبت في وفات ملايين الأشخاص بسبب الاستهتار بخطورتها. فهل نجح المثّقف في إقناع أفراد المجتمع التّونسيّ بضرورة الالتزام بالحجر؟

15 وزارة الصحّة التّونسيّةour world in Data
https://www.onmne.tn
16 جائحة كورونا في تونس، 10/05/2021

2- المثقّف والكورونا:

للمثقّف[17] دور مهمّ ضمن أيّ مجتمع ليسّر فهم ما تلبّس فهمه للعامّة، فلن يتقبّل جميع أفراد المجتمع بمختلف طبقاته ومرجعيّاته الثقافيّة كلّ جديد على غرار هذا الوباء. فكلّ يفسّره حسب ثقافته[18]، فقد انفجرت التمثّلات الاجتماعيّة لدى فئة من الأفراد في المجتمع التّونسيّ ذات الصلة والعلاقة بالمسائل الدينيّة أنّ بروز الفيروس ما هو إلاّ عقاب إلهيّ، وعلى غرار ما قاله أحد الشّيوخ في خطب الجمعة «درس»[19]، فقد فرض هذا الوباء على النّاس أغنياء وفقراء وعالم متقدّم ونامي التزام البيت عاجزين أمام الفيروس الحاصد لأرواح النّاس. إلى جانب هذا أغلقت الدّولة الحدود ومنعت السّفر وحتّى التنقّل داخل الولايات.

هذا الجدول يوضّح كيفيّة اتّخاذ الدّولة لسياسة التدرّج لإجراءات الاستجابة للجائحة[20]

---

17 /https://www.france24.com/ar

18 الثقافة هي مجموعة من الأشكال والمظاهر لمجتمع معيّن تشمل العادات والممارسات كما تشمل قواعد كيفيّة العيش ومعايير كيفيّة العيش والوجود من ملابس وقواعد وسلوك ومعتقدات (دين وطقوس) ويمكن القول كذلك أنّ الثقافة هي كلّ المعلومات والمهارات التّي يملكها البشر ولا بدّ من الإشارة من البداية أنّ مفهوم الثّقافة أساسيّ في دراسة المجتمع، ولا سيّما من خلال ما يسمّى بعلم الإنسان ومن خلاله علم الاجتماع ولعلّ شيوع المصطلح يجعل من الصّعب تعريفه، فكل من يستعمله يقصد به زاوية أو أكثر من زوايا النّظر.

- الثّقافة: في اللّغة العربيّة هي الحذق والتمكن والمثاقفة من معانيها الملاعبة بالسّيف، تقول العرب: «ثقف الرّمح، قوّمه وسوّاه، وثقف العود أزال عنه تخشلباته وثقف الشّخص جعله مهذّبا متعلّما متمكنا من العلوم والفنون والآداب وتكون الثّقافة تبعا لذلك؛ بمعنى إدراك الفرد والمجتمع للعلوم والمعرفة في شتّى مجالات الحياة، فكلّما زاد نشاط الفرد ومطالعته واكتسابه الخبرة في الحياة زاد معدّل الوعي الثّقافيّ وأصبح عنصرا فاعلا في المجتمع. ويُستعمل مصطلح الثّقافة في المنظور الغربي إلى ثقافة المجتمعات الإنسانيّة، وتعهد هذه الثّقافة من هذا المنظور طريقة حياة تميّز كلّ مجموعة بشريّة عن مجموعة أخرى والثّقافة بهذا المعنى يتمّ تعلّمها وتعليمها ونقلها من جيل إلى آخر.

ابن منظور، لسان العرب، الط6، دار صادر بيروت، 2008، الج3، ص25

أيغلتون، تيري، الثقافة، ترجمة: لطفيّة الدّميلي، الط1، دار المدى، 2018

19 خطبة الجمعة ليوم 13 مارس 2020

https://www.youtube.com/watch?v=Ql-bPXQuOk8

20 المصدر: http://www.itceq.tn/wp-content/uploads/files/notes2020/COVID19-Tunis.pdf

وهذا المنظور ساهم بشكل أو بآخر في تهميش صورة المصاب، واعتبر رجال الدّين أنّ البعد عن الله وترك الواجبات الدينيّة هو أحد أسباب السخط الإلهيّ وابتلائنا بهذا الوباء، والعالم اليوم يقف عاجزا أمام هذا العقاب الإلهيّ، فما وجدوا الدّواء واكتفوا بعزل المصاب وحرمانه من الاختلاط مع باقي أفراد المجتمع. إنّ هذا البعد الإيديولوجيّ لتعريف المرض، زاد من حدّة الهلع في نفوس النّاس، فكيف واجه المثقّف هذا التصوّر الإيديولوجيّ الموشّح بغطاء الدّين؟

2_1- الكورونا عقاب إلهيّ:

ارتبط المرض والوباء منذ القدم بالعقاب أو بالأحرى بالسّخط الإلهي وهنالك من يعتبره ابتلاء، وما على المؤمن الصّادق غير الصّبر لما ابتلي به لينال الجنّة، وعلى سبيل المثال شكّل ظهور الطّاعون هلعا وخوفا في نفوس المسلمين وبحث الأطبّاء والعلماء عن تفسير يوضّح سبب نشأة هذا الوباء، واحتجّ رجال الدّين بالأحاديث المنقولة عن الرّسول التّي تعتبر الطّاعون رجزا وعذابا على الكافرين، وقد أُرسل لمعاقبة أمم سابقة[21]: قال الإمام أحمد: ثنا يزيد _هو ابن هارون_ قال: ثنا مسلم بن عبيد قال: سمعت أبا عسيب _مولى رسول الله_ يحدّث عن رسول الله قال: أتاني جبريل عليه السّلام بالحمّى والطّاعون، فأمسكت الحمّى بالمدينة، وأرسلت الطّاعون إلى الشّام، والطّاعون شهادة لأمّتي ورحمة لهم، ورجز على الكفرة[22].

ولا يخفى علينا أنّ العديد من الأئمّة احتجّوا بهذا الحديث وعدّة أحاديث مشابهة، ولا يسعنا المقام لعرضها كافّة، ليربطوا حادثة الكورونا بالطّاعون، ومنهم من اعتبر الموت بهذا الدّاء شهادة أيضا، فهل الغاية هي طمأنة النّفوس أم إعادة لإحياء هذه الأحاديث؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ المنظومة الفقهيّة مازالت متشبّثة بالموروث الدينيّ، وتعتقد أنّ القرآن والسنّة هما المشرّعان لحياة المسلم، وأنّهما المرجعان الرّئيسيّان لتحديد سلوك المسلم تجاه كلّ نازلة تحدث له في الحياة الدّنيا، فالاقتداء بهما سلامة من الوقوع في الإثم وفوز بالجنّة.

فمن البديهيّ أن يواصل رجال الدّين ممارسة السلطة الدينيّة لتوجيه النّاس استنادا إلى المرجعيّة الدينيّة الموروثة، فمفهوم الابتلاء في التّأويل الدّينيّ هو الذّي يعقلن فوضى توزيع العقاب والأذى ويبرز الاعتباط بتوظيف العذاب والشّدائد نحو غايات محدّدة هو الاختيار والامتحان وبذلك فمفهوم الابتلاء يساعد على تجاوز الحرج وبلوغ معان أخرى أكثر استيعابا للمصابين. فقد اعتبر المسيحيّون قبل ذلك الألم والعذاب

21 ابن حجر العسقلاني، الحافظ بن علي، بذل الماعون في فضل الطّاعون، تحقيق: عصام عبد القادر الكاتب، الط1، دار العاصمة الرّياض، (د.ت)، ص 106

22 المرجع نفسه، ص78

والمرض أداة تطهير ترفع الإنسان إلى مستوى الطّهارة[23]. لكنّ، يجب أنّ نعترف بأنّ جميع الدّيانات الكبرى بما فيها الإسلام وهبت أهميّة كبرى للمرض والألم والمعاناة بسبب الأوجاع التّي يسبّبها المرض أو الوباء، وتعتبر هذه الآلام الأداة الفعّالة لتحقيق العزلة الروحيّة والحياة الباطنيّة العميقة.

ووسط هذه الخطابات التّي يبثّها رجال الدّين من جهة والخرافات المبثوثة ضمن أفراد المجتمع من جهة أخرى، يحاول المثقّف من خلال وسائل الإعلام ووسائل التّواصل الاجتماعيّ وضع حدّ لهذه التمثّلات لتفسير سبب ظهور المرض. وفي المقابل، حاولوا بلغة بسيطة سلسة توضيح الرّؤية أكثر لكافّة المجتمع التّونسيّ. فهذه الأزمة الصحيّة مسألة في غاية الخطورة وهي مسألة دقيقة جدّا، لصيقة بحياة الإنسان، فلا يجدر أن يتحدّث في هذا الشّأن من ليس له علم ولا خبرة بهذا المجال.

وقد خصّصت الإذاعات السمعيّة والبصريّة جميع برامجها لاستقطاب الأطبّاء والمفكّرين والسّياسيين والاقتصاديين وغيرهم من النّخب المثقّفة للتفسير والتّوضيح للعموم سبب نشأة الفيروس وكيفيّة تشكّله وانتقاله من فرد إلى آخر، وهنا مكانة برزت مكانة الصّحفيّ المثقّف، فهو مرشد العامّة عن طريق استقطاب الفئة القادرة على مواكبة الأحداث وتوضيح أهميّة الإجراءات الوقائيّة لهذا الوباء.

وبالتّالي، إرشاد العامّة وتوجيههم لاتّخاذ الإجراءات الصحيّة اللاّزمة. فهل نجح المثقّف في إقناع العامّة؟ هل تمكّنت تونس من تجاوز هذه الأزمة؟ وما مدى نجاح الإجراءات الوقائيّة المتّبعة؟

2_2- الحجر الصحّي في تونس:

أضحى الفرد ضمن مجتمعنا مخيّرا بين الحياة والموت، ويظهر ذلك في كون الأفراد يواجهون خوفا من الموت بالفيروس اثر انتشاره بشكل وحشيّ داخل جميع أنحاء البلاد، بل العالم برمّته، وأدّى هذا الفيروس إلى موت آلاف البشر، ووسط دهشة الأطبّاء وغياب دواء لهذا الفيروس المستجدّ لم يجدوا غير حلّ واحد هو عزل جميع أفراد المجتمع لضمان سلامة جميع النّاس، وذلك كحلّ أوّليّ إلى أن يظهر اللّقاح فهل تقبّل المجتمع التّونسيّ هذا الإجراء الوقائيّ؟

إنّ التمثّلات الاجتماعية للمرض تعبّر عن معتقدات ومعارف متوارثة تحيل إلى تأويلات مختلفة بين مجموعة أعضاء أفراد معينة قد نجدها مختلفة عن أفراد آخرين، وهذا يدلّ على قدرة أفراد المجتمع على خلق تصوّر للمرض يختلف عن المجموعات الأخرى.

23 Scheler, le sens de la souffrance, Paris Aubier, 1946, p55

ويرى دوركهايم أنّ الفرد أو بالأحرى الضّمير الفردانيّ لا يقوى بمفرده على إنشاء أخلاق أو تشريع أو قيم وابتكار معايير، فالقوّة الجمعيّة هي مصدر لكلّ سلطة أخلاقيّة وفكرة الله هي الأخرى لا تخرج عن كونها مجرّد صورة إبداليّة رمزيّة للمجتمع[24].

لكن، لا بدّ من أن نشير إلى أنّ ضمن هذا التمثّل الجمعي والتديّن الجماعيّ، تديّن فردانيّ بل نقرّ بوجود ضمير أخلاقي يعبّر من خلال أسلوبه الذّاتيّ الخاصّ به.

وبالتّالي، تعتبر علاقة الدّين بالأفراد باعتباره شأنا جماعيّا، خاضعة لعوامل كثيرة ومختلفة، إذ يتلقّى الفرد تنشئة اجتماعيّة ضمن وسط اجتماعيّ يحدّد بشكل كبير درجة تديّنه، ونجد عوامل أخرى تكشف عن درجة عالية من الأهميّة من خلال علاقة الفرد بالدّين على غرار الجنس والسنّ والمستوى التّعليميّ فالمستوى الاجتماعيّ وغيرها..

بيد أنّ التديّن أو التّجربة الروحيّة لفرد ما تتأثّر كذلك بالأحداث السارّة والأليمة التّي نخوضها ضمن حياتنا، فخسارة قريب أو صديق أو النّجاح في تجربة أو الفشل يمكن أن يكون له الأثر البليغ في التّجربة الروحيّة خصوصا إذا كان ضمن هذه التّجارب التّي نمرّ من خلالها تجربة المرض وإمكانيّ الموت واردة.

ومع تفشّي فيروس الكورونا ضمن المحضن التّونسيّ ظهرت سمات الحزن والخوف على شرائح عريضة داخل المجتمع، بينما ظلّت فئات أخرى متشبّثة بآرائها وتمثّلاتها ومعتقداتها، واعتبروا أنّ هذا المرض ليس بتلك الخطورة التّي يتمّ التّرويج لها، وهو عبارة عن مرض عاديّ. وحذّر المسؤولون المستهترين بالالتزام بالحجر الصحّي الذّي أعلنت عنه الوزارة يوم 20 مارس 2020 لمنع انتشار العدوى، وتمّ إجبار 100 مصاب بالفيروس على الحجر الصحّي بقوّة الأمن بعد رفضهم ذلك[25] وتمّ فرض عقوبات

24 Durkheim, p34

25 بركات، بسمة، خروقات الحجر الصحّي في تونس، العربي الجديد، 20 أبريل 2020 https://www.alaraby.co.uk/

تم تهريب مراد الخشين رجل الأعمال والقيادي في حزب مشروع تونس، من الحجر الصحي بحسب النائب البرلماني عن ائتلاف الكرامة ماهر زيد الذي قال إن المعطيات المتوفرة لديه تفيد أن الرجل استخدم حيلة تجمهر متظاهرين للاحتجاج أمام النزل الذي يقيم فيه، ثم وصلت وسيلة نقل مواد غذائية وتولت نقله مع زوجته بحسب إفادته لـ"العربي الجديد"، لكن بمجرد علم المكتب التنفيذي لجمعية القضاة بالحادث، تم التصدي لهذا الخرق وإعادة رجل الأعمال وزوجته إلى الحجر مجددا في 1 إبريل وسيعرضان على القضاء بعد استكمال فترة الحجر، بحسب القاضي الحمايدي، والذي قال: "رغم الإجراءات التي تقتضي تعليق العمل في العديد من الدوائر القضائية، إلا أن النيابة العمومية والدوائر الجزائية التي تتولى التحقيق تواصل عملها للتصدي للمخالفات المتعلقة بعدم احترام الحجر الصحي وعدم الامتثال لمقتضيات الحجر الشامل".

للمخالفين[26]. ولا يخفى علينا أنّ الحجر الصحّي الإلزاميّ الذّي تمّ فرضه، وذلك من خلال وقف الحكومة لحركة الطّيران وفرض العمل من المنزل وإغلاق المساجد وحظر التجوّل اللّيليّ وإغلاق المدارس والشّركات ومنع التجمّعات الشعبيّة، ساهم في الرّكود الاقتصاديّ، وحسب الصّندوق النّقد الدّوليّ، ستشهد تونس خسارة 274500 وظيفة، وسيرتفع معدّل الفقر بنسبة 4%، وسينخفض معدّل الاستثمار إلى قرابة 5%[27].

لا ننكر أنّ البلاد التونسيّة نجحت في احتواء الفيروس في الموجة الأولى من الفيروس، ولعلّ جهود المثقّف كان لها الفضل الأكبر عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ، فالمفكّرون والباحثون وغيرهم ممّن اهتمّ بالشّأن العامّ، خصّص جزءا كبيرا من كتاباته ومنشوراته على شبكات التّواصل الاجتماعيّ والصّفحات الإلكترونيّة لتوعية العامّة وتحريضهم على الالتزام بالحجر الصحّي لضمان سلامتهم وسلامة غيرهم.

وخصّصت البرامج التلفزية جزءا مهمّا، هذا إن لم نقل إنّ الهاجس الأكبر حينها كان الحديث عن الفيروس ومخاطره وكيفيّة الوقاية منه، وتمّ استقطاب علماء النّفس والاجتماع لعرض صورة تبسيطيّة على العامّة، ومنه توضيح مخاطر تجاوز الإجراءات الصحيّة حينئذ، ولم تذهب كلّ مجهودات الفئة المثقّفة سدى، إذ شهدت توجيهاتهم الصحيّة إقبالا واسعا من قبل شريحة واسعة من أفراد المجتمع التّونسيّ، وسعوا جاهدين إلى الالتزام بالقواعد الصحيّة المفروضة دون اعتراض.

ولكن، لا يخفى علينا أنّ البلاد شهدت موجة ثانية كانت أخطر من الأولى، ولقي آلاف المصابين بالفيروس حتفهم، فالعلاج الشّافي للفيروس مازال في طور العمل والعديد الفئات الاجتماعيّة مازالت رافضة للإجراءات الوقائيّة، ولكن هل سيلقى حضور اللقاح ترحابا من قبل جميع أفراد المجتمع؟ هل سيتقبّل أفراد المجتمع التّونسيّ فكرة التّلقيح؟

---

26 أفاد وكيل الجمهورية بالمحكمة الابتدائية بتونس1، محسن الدالي، أن النيابة العمومية أصدرت خلال الفترة من 23 مارس إلى 3 إبريل، 157 إذناً بتوقيف مخالفي قرارات الحجر الصحي الشامل وحظر التجول، 49 منهم أودعوا السجن و108 مخالفين سيتم النظر في ملفاتهم، لمعرفة من لديهم مبررات بمخالفة حظر التجول

وتدخل مخالفة حظر التجول ضمن العقوبات الواردة في الفصل التاسع من الأمر عدد 50 لسنة 1978 المتعلق بتنظيم حالة الطوارئ والذي ينص على أن "كل مخالفة لأحكام هذا الأمر تعاقب بالسجن لمدة تتراوح بين 6 أشهر وسنتين وخطية (غرامة) تتراوح بين 60 و2500 دينار (20 دولارا و864 دولار)، أو بإحدى هاتين العقوبتين"، وعقب مجلسوزاري بتاريخ 13 أبريل، أعلنت الحكومة التونسية عن غرامة مالية بـ 50 دينار حوالي 17 دولارا ضد مخالفي الحجر الصحي الشامل ومن الممكن أن تتضاعف في حال العود لتصبح 100 دينار (35 دولارا)

المرجع نفسه

27 https://www.brookings.edu/ar/opinions

3- ظهور التّلقيح:

أخيرا ظهر اللّقاح[28]، وأصبح هنالك أمل للقضاء على الفيروس. ولكن، هل تمّ توفير اللّقاح في جميع أنحاء العالم؟ فالدّاء انتشر في أقطار العالم كافّة، فهل اللّقاح أيضا تفشّى لينقذ النّاس كافّة؟

ففي الوقت الذّي بدأت فيه البلدان المتقدّمة بحث إمكانيّة نشر جرعات معزّزة لحماية سكّانها، فإنّ الغالبيّة السّاحقة من سكّان البلدان النّامية لم يتلقّوا حتّى الجرعة الأولى من التّلقيح، ويشتدّ الأمر وطأة في البلدان ضعيفة الدّخل[29]، لقد شكّل توفير اللّقاح لكافّة سكّان العالم معضلة كبرى، وساهم في بروز المزيد من الاضطرابات الاجتماعيّة هذا إلى جانب عدم اقتناع جميع أفراد العالم بنجاعة وفاعليّة اللّقاح، فلم تمّ رفض فكرة اللّقاح؟ وما دور المثقّف في توجيه العامّة فترة ظهور اللّقاح؟ وما مدى نجاح حملات التطعيم ضمن المجتمع التّونسيّ؟

أ- حملة التّلقيح عالميّا:

إنّ الهدف من التّلقيح ضدّ الفيروس هو التّقليص من احتمال معاناة المصاب أو دخول المستشفى أو الموت، لكنّه لا يقضي على استمرارية ولادة الفيروس وانتشاره.

على الرغم من أنّ العالم بأسره كان ينتظر بفارغ الصّبر ظهور التّلقيح، نجد أنفسنا أمام جموع من المناهضين لهذا التّلقيح. واعتبروا هذه الفكرة مؤامرة للقضاء على الجنس البشري، فانتشرت المظاهرات[30] في شتّى شوارع العالم ترفع شعارات مناهضة للتّلقيح وتنادي بحريّة الاختيار، فالجسد ملك شخصيّ وكلّ إنسان حرّ في اختياراته.

إنّ عمليّة إقناع النّاس بأهميّة التّلقيح لن يكون بالأمر الهيّن بتاتا، فالمجتمع يهتف بحقّه في الحريّة، حريّة امتلاك الجسد، فما هي الوسائل التّي سيعتمدها المثقّف لإقناع العامّة بأهميّة التّلقيح؟ كيف سيقنع المثقّف العامّة بأنّ إلزاميّة التّلقيح وإجباريّة التّلقيح ليس فيها مساس بحريّتهم؟

---

28 يتم التطعيم بهذا اللقاح كجزء من مشروع التطعيم بلقاح فيروس كورونا المستجد الذي تجريه الحكومة الوطنية والحكومات المحلية. يتم توفير هذا اللقاح على نفقة الدولة ويتم تطعيم الراغبين به مجانًا. هذا اللقاح مخصص للأشخاص الذين يبلغون من العمر 12 سنة فما فوق.

إرشادات حول التّطعيم الوقائي بفيروس كورونا المستجدّ

https://www.mhlw.go.jp/content/000792759.pdf

29 كريستالينا جورجيفا، تيدروس أدهانوم غيبريسوس، ديفيد مالباس، نجوزي إن أوكونجو أيويالا، الالتزام بعدالة التلقيح يدحرج جائحة كورونا، مدونات البنك الدولي، https://blogs.worldbank.org/ar/voices/alaltzam-bdalt-altlqyh-ydhr-jayht-kwrwna، 06_01_2021

30 قالت السلطات الفرنسية إن أكثر من 105 آلاف شخص شاركوا في احتجاجات واسعة بمدن عدة رفضا لتشريع مقترح بهدف دفع المواطنين للحصول على شهادة تلقيح ضد فيروس كورونا.

فيروس كورونا مظاهرات ضخمة ضد فرض شهادة التلقيح في فرنسا، https://www.bbc.com/arabic/world-، 09 يناير، 2022

لا بدّ أن نشير في بداية الأمر إلى أنّ الارتياب من اللّقاح ليس بالأمر الحديث، فمنذ اكتشاف اللّقاحات والبشر يرفضون تلقّيه ويعتبرونه خطرا على حياتهم[31].

في المقابل، فرضت السّلطات العالميّة ضرورة بل إلزاميّة التّلقيح، وضرورة الاستشهاد بوثيقة تثبت تلقي المواطن التلقيح ليتمكن من دخول الأماكن العامة[32] من مطاعم ومحلات ووسائل نقل وغيرها من الأماكن العمومية. وهذا ما زاد من حدّة غضب النّاس وخروج الآلاف إلى الشّوارع رافضين هذه القوانين وطالبوا بحقّهم في رفض تلقّي جرعة اللّقاح.

فالأمر لن يكون يسيرا على المثقّف لإقناع هؤلاء بعدم وجود خطر على حياتهم إذا تلقوا التلقيح، بل الخطر في عدم الالتزام بالتطعيم، والقضيّة ذاتها في تونس لا تختلف عمّا يحدث عالميّا.

ب- التّلقيح في تونس:

انتهجت السّلطات التونسيّة مسلك الدّول الأوروبيّة، ففرضت التّلقيح وألزمت على كلّ مواطن الاستشهاد بوثيقة تثبت تلقّي المواطن التّلقيح حتّى يتمكّن من ارتياد الأماكن العامّة.

وعلى ضوء إجباريّة التّلقيح، رفض أفراد المجتمع التّونسيّ تلقّي جرعات التّلقيح، واعتبروا إلزاميّة التّطعيم انتهاكا لحريّة الفرد وحريّة الجسد، واعتبروا الإجبار على تلقيه متعارضا مع حقوق الإنسان ولا يوجد أمر في القانون أو الدّستور التّونسيّ ينصّ على إلزاميّة أخذه.

واعتبر أحد الإعلاميين التّونسيين أنّ إجباريّة التّلقيح أمر ليس من حقّ السّلطات التونسيّة، وكلّ فرد حرّ إمّا أن يتّخذ جرعة التّلقيح أو يتركها[33].

---

31 ليس الارتياب من التلقيح، أو حتى الرفض القاطع له من فئة من السكان، وليد وباء كوفيد-19، بل «هو بقِدَم **اللقاحات** بذاتها»، على حد قول مؤرخ الشؤون الصحية باتريك زيلبرمان.

شكل الجدري طوال قرون مرضا فيروسيا قويا قبل القضاء عليه سنة 1980 بفضل التطعيم. وفي العام 1796، خطرت على بال طبيب بريطاني هو إدوارد جينير فكرة تلقيح طفل بجرعة حميدة من المرض لتعزيز تفاعله المناعي. وقد أتى هذا الأسلوب بثماره لكنه أثار منذ البداية ارتيابا ومخاوف. وكان أسلوب تلقيح مستمد من واقع التجربة قائما قبل التجارب على الجدري، وكان بدوره محطّ جدل محموم في أوروبا في القرن الثامن عشر. أصبح اللقاح ضد الجدري في بريطانيا إلزاميا للأطفال في 1853. وقد أثارت إلزامية التطعيم هذه معارضة شرسة.واعتبر معارضو هذه الفكرة أن «خطر» تلقيح منتجات مشتقة من حيوانات أو بـ«دواع دينية» أو بـ«انتهاك الحريات الفردية»، بحسب ما ذكرت الباحثتان آنيك غيموزان وماريون ماتيو في كتاب «فاكسيناسيون: أغريسيون أو بروتيكسيون؟» (التلقيح: اعتداء أو حماية؟) الصادر عن مركز «إنسرن» ودار «لو موسكادييه».وقد أضيف «بند الضمير» إلى القانون البريطاني سنة 1898 لإعفاء المترددين من التطعيم.

الارتياب من اللقاحات وربطها بنظرية المؤامرة قصة طويلة عمرها أكثر من مائتي سنة، https://www.france24.com/ar/، 17 أكتوبر 2020

32 ويحرم مشروع القانون غير الملقحين من دخول أماكن عامة مثل الحانات والمطاعم.

وحمل المتظاهرون في العاصمة باريس لافتات عليها عبارات مناهضة لفرض «شهادة لقاح كورونا».

وأعلنت وزارة الداخلية عن إصابة 34 شخصاً و10 من عناصر شرطة خلال الاحتجاجات التي شهدت أعمال عنف في بعض المناطق. المرجع نفسه

33 نزار الشعري لهذه الأسباب أرفض التلقيح ضدّ الكورونا، https://www.attessia.tv/news/nation/

فما موقف المثقّف وسط هذا الجدال؟

يجد المثقّف نفسه أما موقفين:

الأوّل، وهو موقف السّلطات الحاكمة، وهو يعتبر التّلقيح إنقاذا جماعيّا من خطر تفشّي الجائحة.

الثّاني، وهو موقف المعارضين للتّلقيح، وهم يعتبرون الجسد ملكيّة فرديّة، وكلّ فرد له الحقّ في اختياراته. هذا إلى جانب اعتبار التّلقيح غير كامل، وأنّه يتسبّب في حدوث جلطات وشلل عند البعض. فهل التّلقيح إجبار أم اختيار؟

نحن أمام جائحة حدّت من حرّيتنا الشخصيّة ومنعتنا من التنقّل ومن السّفر وهدّدت حياتنا، يعتبر الدّكتور أنطوان أشقر[34] أنّه يضطرّ إلى الإقرار بإلزاميّة التّلقيح، ويوافق السّلطات على هذا الإجراء حتّى وإن كان فيه تعدّ على حريّة الفرد، وذلك لأنّ في هذا الإلزام نجاة العامّة كافّة، وفي هذا الإجراء تقليص لخطورة الفيروس وهو يحدّ من تطوّره.

ولكن، يجب أن يقتنع أفراد المجتمع التّونسيّ بضرورة التّلقيح. فإن اقتنع أفراد المجتمع بأنّ التّلقيح ما هو إلاّ خطوة أولى للنّجاة ففكرة إلزاميّة التّلقيح لن تصبح «مزعجة» أو بالأحرى سيتحوّل الإجبار إلى رغبة نفسيّة بعد أن يدرك الفرد سبب التّلقيح وإيجابيّاته ونتائجه.

ولا بدّ أن نشير إلى أنّ العديد من معارضي التّلقيح اعتبروا التّلقيح غير جاهز، وأنّ الإنسان ليس فأر تجارب حتّى يتمّ تطعيمه بدواء غير آمن خاصّة وأنّ العديد قد أصيب بجلطات وشلل. فما هي السّبل التّي انتهجها المثقّف لإقناع المجتمع بضرورة التّلقيح دون إجباره؟

أكّد الأطبّاء أنّ رفض التّلقيح له تاريخ قديم، وقد سبق أن ذكرنا ذلك، وأنّ ظهور جرعة ثانية وثالثة (وهذا أحد أسباب خوف التّونسيين من التلقيح) خشية البعض، فهدّأ المختصّون من روعهم وأثبتوا أنّ الجرعات تتجدّد كلّ ثلاث أو عشر سنوات على غرار تلقيح الحمّى وغيرها من التّطعيمات، وذلك لتنشيط مناعة الإنسان وتعزيزها[35].

يعتبر المثقّف أنّ كلّ إنسان أصبح فردا يهدّد حياة المجتمع، فكلّ إنسان مهدّد بالإصابة بالفيروس، وفي حالة إصابته فهو قادر على نشر العدوى وكما سبق أنّ ذكرنا فهذا الوباء خطير ويهدّد استمراريّة الحياة،

34 نقطة حوار التلقيح إجبار أم اختيار، BBC بالعربي https://www.youtube.com/watch?v=s1MJaBVTtAE

35 المرجع نفسه

فالالتزام بالتّلقيح ينجينا من حدوث كارثة عالميّة، فالتجأ العديد من المثقّفين إلى تحفيز النّاس وتشجيعهم على التّلقيح من خلال عرض صورهم أثناء التّطعيم من جهة أولى.

ومن جهة ثانية، التجأ العديد إلى منصات التّواصل الاجتماعيّ ودعوا النّاس إلى الالتزام بالتّلقيح دون جزع أو خوف، ونصح المثقّف النّاس بالتوجّه صوب حملات التّطعيم المنظّمة من قبل السّلطات المحليّة لتعود الحياة إلى شكلها الطّبيعيّ.

كما أنّ للإعلام دور هامّ كما سبق وذكرنا، وذلك من خلال تخصيص جزء مهمّ من برامجها لتوجيه العامّة واستضافة نخبة من المثقّفين التّونسيّين لتعديل رأي المعارضين وتوضيح ماهية اللّقاح حتّى يتمّ توعيتهم بضرورة الالتزام به دون إكراه.

فإن أدرك الفرد أهميّة التّلقيح، وهذا ما يسعى المثقّف إلى إبرازه من خلال منشوراته الكتابيّة والمرئيّة، لن تلتجئ السّلطة إلى إجباريّة التّلقيح، ونصبح حينئذ أمام مجتمع يدرك بوعي تامّ ما يهدّد حياته وبالتّالي، يسعى إلى مواجهته بأسلوب حضاريّ متقدّم دون إكراه أو إجبار.

لن ننكر أنّ الاشتغال على زرع ثقافة جديدة ضمن المجتمع التّونسيّ، ألا وهي تقبّل أزمة صحيّة حديثة الظّهور شكّلت معضلة عظمى لدى المثقّف، فليس من الهيّن على نفوس التّونسيّين تقبّل هذا «الألم» الوافد، المهدّد لاستمراريّة الحياة الطّبيعيّة، هذا إلى جانب حصد عديد الأرواح البشريّة خلال مدّة زمنيّة قصيرة.

فالأزمة خلقت تقاليد جديدة للعلاج والوقاية على خلاف ما عهده المجتمع التّونسيّ، وهذه الأساليب الحديثة لم تلق صدّا بسبب فرض العزل الاجتماعيّ فحسب بل لقيت هذه الإجراءات الوقائيّة الرّفض جرّاء الضّرر الاقتصاديّ الذّي لحق البلاد، وانتفض المجتمع متحدّيا الموت بالفيروس رافضا الموت جوعا.

فتجنّد المثقّف بمرجعيّاته المعرفيّة متقرّبا إلى نفوس التّونسيّين، متوجّها إليه بخطاب عقلانيّ مشبع بالحجج المنطقيّة والعلميّة للتّهدئة من روعه وطمأنته، وذلك من خلال إبراز أنّ هذا الوباء عدوّ بيولوجيّ يجب مقاومته باتّباع نصيحة أهل العلم والخبرة من خلال اتّباع التّوجيهات الصحيّة الوقائيّة والعلاجيّة من جهة أولى.

ومن جهة ثانية، وضّح المثقّف أنّ السلامة الصحيّة للفرد التّونسيّ في الوقت الرّاهن أهمّ رهان يجب الحفاظ عليه لضمان استمراريّة الحياة الطبيعيّة بعد مرور هذه الأزمة التّي لا تزال آثارها مستمرّة إلى يومنا هذا.

الخاتمة:

أحدث ظهور فيروس الكورونا المستجدّ ضجّة عالميّة، إذ شكّل هذا الوباء جسرا للعبور إلى الموت، وتضاربت الآراء بين موقف يدعو إلى اتّخاذ التّدابير الوقائيّة والاحتياطات اللاّزمة للحدّ من انتشاره، وموقف مغاير تماما يعتبر أنّ فكرة الفيروس عبارة عن مؤامرة والهدف منها إدخال الرّعب في نفوس النّاس والتحكّم في آرائهم ومعتقداتهم، واعتبر أصحاب هذا الموقف ومناصريه أنّ الإجراءات المتّخذة للحدّ من تفشّي الفيروس ستضعف الاقتصاد العالميّ وتساهم في ارتفاع نسبة الفقر. ولم تسلم البلاد التونسيّة من خطر هذا الفيروس وما ترتّب عنه من انهيار اقتصاديّ، واعتبره البعض مؤامرة والبعض الآخر وباء سيقضي على البشريّة إن لم نتصدّ له.

من بين هذه المواقف، أضحينا في حاجة ماسّة إلى رأي المثقّف، فهو صاحب الرّأي الأسلم الذّي يستحبّ الالتجاء إليه كلّما التبست الأمور، فكانت وسائل التواصل الاجتماعيّ والبرامج التّلفزيونيّة ملاذا لمواكبة تطورات هذا الفيروس، خاصّة بعد أن التزم النّاس بيوتهم للحدّ من تفشّي هذا الفيروس. فالمثقّف هو الذّي يجرؤ على قول الحقيقة من خلال هدم وإعادة بناء المفاهيم والقواميس المعبّرة عن الواقع[36].

فالوضع الصحّي العالميّ، سمح بوجود متطفّلين على المجال الطبّي أدلوا بآراء بعيدا كلّ البعد عن كلّ ما هو علميّ دقيق، إذ تجرّأ البعض وهم ليسوا من أهل الاختصاص، ونقصد علم الفيروسات الحديثة تحديدا وليس أي اختصاص طبّي، إلى عرض تفسير لنشأة الفيروس وكيفيّة الوقاية منه، بل حتّى طرح أسماء بعض الأدوية للعلاج. فهذه الأزمة تتّسم بخطورة تحتّم علينا انتقاء المنقذ، فليس كلّ مثقّف له دراية بالمشاكل النفسية والاجتماعيّة والصحيّة له الحقّ في أخذ الكلمة وتوجيه العامّة، فهذه الأزمة دقيقة جدّا، تحتاج إلى مختصّين لتعديل مسار الحياة، وإنقاذ البشريّة من الموت.

فقد نجح هذا الفيروس في إعادة بناء الأولويّات، فأمام وضع الأزمة الصحيّة الرّاهنة صار الاستماع إلى صوت المثقّف أمرا مفروضا، خاصّة في أمر الاحتياطات الوقائيّة ووجوب التّلقيح. إذ لم يجد العديد ملاذا للفرار من الخطر المميت سوى الاستعانة بصوت المثقّف الواعي بمدى خطورة الأزمة التّي يعيشها العالم، وهذا ما ساهم في عودة دورهم التّأطيريّ داخل المجتمع التّونسيّ، وذلك بعد أن احتلّ بعض المؤثّرين على مواقع التّواصل الاجتماعيّ les instagrameuses مكانة هامّة في ثقافة المجتمع التونسيّ، فأصبحت آراء هذه الفئة البعيدة عن المجال الثّقافيّ هي المسيطر على الحياة اليوميّة للشّباب، فغاب الاهتمام بكلّ ما هو علميّ وأكاديميّ عن حياتهم اليوميّة، وسيطر الفكر السّطحيّ التّافه مقابل ذلك.

36 زوبدي، احمد، في استقالة المثقف زمن الكورونا، الحوار المتمدن، 12-06-2020 https://www.ahewar.org/ 2

وإثر حدوث هذه الأزمة، بذل المثقّفون أقصى مجهوداتهم لإعادة الرّيادة إلى المعرفة العلميّة الأكاديميّة، وبيّنوا الحاجة إلى المزيد من الاهتمام بمجالات معيّنة، فللمثقّف دور مهمّ وحيويّ بتوعية المجتمعات بمخاطر الوباء وطرق الوقاية والمكافحة من خلال اتّباع التّعليمات والإرشادات الصحيّة والالتزام بها.

كان للمثقّف الفنّان دور بارز أيضا في تمرير رسائل الشّكر والامتنان لكلّ من ساهم في إنقاذ الرّوح البشريّة؛ وذلك عبر لوحات فنيّة مميّزة ورسوم كاريكاتوريّة معبّرة أو أغانيّ بها كلمات شكر لكلّ من شارك في إزاحة غيوم الأزمة عن العالم.

وساهمت هذه الأزمة في كلّ الأحوال في إعلاء كلمة المثقّف إبراز صورة أوضح عن الدّور النّبيل الذّي يلعبه ضمن المجتمع، ولكن، كما سبق وذكرنا في بداية البحث يعسر حصر مفهوم المثقّف فاكتفينا بذكر أهمّ من برز على السّاحة في المجتمع التّونسيّ لمقاومة الوضع الصحّي آنذاك، ولا يسعنا المقام للتوسّع أكثر.

فيمكن لنا الإقرار بأنّ الأزمة الصحيّة ساهمت في وقف انتشار ثقافة تسطيح الأمور واستسهالها، وبيّنت أنّ الميل إلى الأجوبة الجاهزة دون التعمّق في البحث في أسباب حدوثها يؤدّي إلى حدوث مآزق في الحياة قد يستعصي الخروج منها، فهل يمكن أن تكون هذه الجائحة سببا رئيسيّا لإعادة مكانة المثقّف وسط ثقافة التّسطيح والتّهميش؟

قائمة المراجع:

1- المراجع باللغة العربيّة:

- أمين، محمود، إشكالية العلاقة بين المثقفين والسلطة، الط1، حزب التجمع التقدمي الوحدوي، 1988، مصر
- ابن حجر العسقلاني، الحافظ بن علي، بذل الماعون في فضل الطّاعون، تحقيق: عصام عبد القادر الكاتب، الط1، دار العاصمة الرّياض، (د.ت)
- عبابو، محمد، سوسيولوجيا الصحّة، نسخة إلكترونيّة، 2015، http://www.fldm.usmba.ac.ma
- ابن عذاري المرّاكشيّ، البيان المغرب، تحقيق: ليفي بروفنسالوج.س كولان، الط1، دار الثّقافة، بيروت_لبنان، 1983، ج4، ص39
- عثمان، صلاح، كورونا نظرية المؤامرة، نشر في مركز المجدد للبحوث والدراسات، إسطنبول، تركيا، 4 أفريل 2020
- المكاوي، علي، الأنثربولوجيا الطبيّة وبحوث ميدانيّة، نسخة إلكترونيّة، https://drive.google.com
- ابن منظور، لسان العرب، الط6، دار صادر بيروت، 2008
- أيغلتون، تيري، الثقافة، ترجمة: لطفيّة الدّميلي، الط1، دار المدى، 2018

2- المراجع باللغة الأجنبية:

Durkheim, E (1924), Sociologie et philosophie. Alacan

Maftel , Alexandra an Holman, Andrei_Corneliu, Belifs in conspiracytheories, Intolerance of uncertainty, and moral disengagementduring the coronavirus crisis, Ethic and behavior, Routledgetyler and francis group, 16 november 2020

3- المقالات الإلكترونيّة:

https://www.brookings.edu/ar/opinions تونس لعلها غلبت فيروس كورونا، 30/06/2020

Maftel , Alexandra an Holman, Andrei_Corneliu, Belifs in conspiracytheories, Intolerance of uncertainty, and moraldisengagementduring the coronavirus crisis, Ethicand behavior, Routledgetyler and francis group, 16 november 2020

https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-2019

الارتيابمناللقاحاتوربطهابنظريةالمؤامرةقصةطويلةعمرهاأكثرمنمائتيسنة، 17 أكتوبر 2020، https://www.france24.com/ar/

فيروس كورونا https://www.cancer.net

/https://www.aljazeera.net

أبو الرُبّ، أسامة، فرضيات نشأة فيروس كورونا المستجدّ، 23/10/2021، https://www.aljazeera.net/

/https://factuel.afp.com

الجزيرة للأخبار /https://www.youtube.com

أولغا روبنسون وشايانسرداري زادة، فيروس كورونا نظريات المؤامرة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكيّة، 26 أبريل 2020، https://www.bbc.com/arabic

https://www.cancer.net/sites/cancer.net

وزارة الصحّة التّونسيّةour world in Data

https://www.onmne.tn

جائحة كورونا في تونس، 10/05/2021

نزار الشعري لهذه الأسباب أرفض التّلقيح ضدّ الكورونا، /https://www.attessia.tv/news/nation

نقطة حوار التلقيح إجبار أم اختيار، BBC بالعربي https://www.youtube.com/watch?v=s1MJaBVTtAE

https://www.youtube.com/watch?v=Ql-bPXQuOk8

http://www.itceq.tn/wp-content/uploads/files/notes2020/COVID19-Tunis.pdf

بركات، بسمة، خروقات الحجر الصحّي في تونس، العربي الجديد، 20 أفريل 2020 /https://www.alaraby.co.uk

https://www.brookings.edu/ar/opinions

إرشادات حول التّطعيم الوقائي بفيروس كورونا المستجدّ

https://www.mhlw.go.jp/content/000792759.pdf

كريستالينا جورجيفا، تيدروسأدهانومغيبريسوس، ديفيد مالباس، نجوزي إن أوكونجوأيويالا، الالتزام بعدالة التّلقيح يدحرج جائحة كورونا، مدونات البنك الدولي، https://blogs.worldbank.org/ar/voices/alaltzam-bdalt-alt-lqyh-ydhr-jayht-kwrwna، 06_01_2021

فيروس كورونا مظاهرات ضخمة ضد فرض شهادة التلقيح في فرنسا، 09 جانفي، 2022، https://www.bbc.com/arabic/world-

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2023

جميع الحقوق محفوظة © 2023